الجزء الثالث

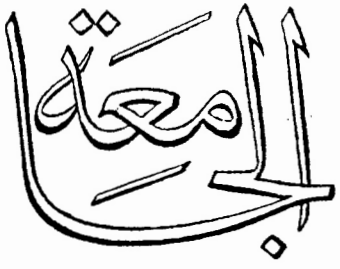

السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول آب (اغسطس) سنة ١٩٠٦ ١١ جمادى الثاني سنة ١٣٢٤

التفاضل والمساواة بين الناس

الحق والبطل فيهما

في الاجتماع . والشريعة . والدستور . والاقتصاد

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

﴿ حاشية من المجلة ﴾ يعرف قراء اللغة العربية حضرة مؤلف هذه الرسالة من عدة كتب وروايات نشرها في السنوات الاخيرة . وهو احد كتاب معدودين في مصر والشام وقد نال جائزة كبرى في هذا العام في موضوع من اهم المواضيع تقدم للكتابة فيه اكثر من عشرين كاتباً مجيداً من كتاب مصر والشام . وقد كتب الموضوع المفيد التالي لقراء الجامعة واثبت فيه جميع الادلة على وجهيه

السلبي والايجابي ولم يرجح وجهاً على وجه لان هذا الموضوع ما زال من مشكلات العلم والفلسفة في العالم . والمواضيع التي ذكر فيها ارجحية وجه على وجه ذيلناها بشروح وجيزة من المجلة لتتم الفائدة بها ويقف القارىء على حقيقة هذا الموضوع الجليل

تساوي الافراد في الحقوق والواجبات مسألة يعبأ بها الناس كلما ترقت عقولهم واتسعت معارفهم اذ يتنبهون الى التفاوت البين بين الاشخاص في الجاه والسلطة والثروة ويتساءلون ما سببه وهل هو عدل وحق؟ فالاقوياء الممتازون يزعمون انه حق بحجة ان التفاوت الذي بين الافراد والامم في تلك الامور مناسب لتفاوتهم في القوى العقلية والجسدية والادبية . والضعفاء المحرومون امتيازات اولئك يزعمون انه استبداد وظلم وغبن لان الناس مشتركون في الحقوق والواجبات ومتساوون بها اشتراكهم واستواءهم في الانسانية وانه لا ميزة لانسان على انسان وانما يمتاز الانسان عن الحيوان لان بينهما فرقاً جلياً

في كل فصل من فصول التاريخ شواهد على التناقش والتخاصم والتقاتل لاجل المساواة . الاقوياء المتمايزون ينكرونها ويجاهدون في القضاء عليها والضعفاء الوضعاء يؤيدونها ويقاتلون في سبيل تعميمها . وما تغلب فريق الا تطرّف وغالى في تقويم جانبه لان مبدأ التنازع يقضي بتبليغ نتيجة الارجحية كما لو كان فريقان يتجاذبان طرفي حبل فاذا رجح احد الجانبين قليلاً جذب الجانب الآخر كله اليه . او كما لو علقت ثقلين في طرفي حبل ملتف على بكرة فاذا رجح احدهما على الآخر ولو درهماً هبط الراجح الى اسفل وارتفع المرجوح الى البكرة مع ان الفرق بينهما زهيد جداً لا يعادل هذه النتيجة للارجحية

فتساوي الناس المطلق غير ممكن وغير عادل(١) اما انه غير ممكن فلانه مخالف للطبيعة التي لا استواء بين اجزائها ففي كل امر منها يوجد الراجح والمرجوح والافضل والاردأ . واما انه غير عادل فلان الاشخاص يتفاوتون تفاوتاً بيناً في عقولهم وهممهم واخلاقهم وآدابهم وسائر قواهم ومزاياهم وان كانوا متساوين في الانسانية ومتشابهين في الهيئة والتركيب

---

(١) هذا في الاقتصاد والمواهب العقلية ولكن مبدأ الديموقراطية يقضي بالمساواة في الاجتماع والشريعة والدستور

العضوي. فلا بد اذاً من التساوي في امور والتمايز في امور على شرط ان تعتدل النسبة بين مزايا الناس واهليتهم

على انه ليس من السهل وزن هذه النسبة او مقايستها بحيث تكون عادلة لانه قد يتراءى لنا ان تمايز النبلاء على العامة في بلاد الانكليز مثلاً غبن اذ لا افضلية حقيقية للنبيل على العامي مخولة ذلك الامتياز عليه. ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان احقيته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها (١) كما سيأتي بيانه في محله من هذه المقالة

وكذلك اذا دققنا في تعليل الامتيازات التي للانكليزي على المصري او للابيض على الاسود في اميركا او للبويري (لعهد الجمهورية البويرية) على الوطني في جنوب افريقيا وجدنا انها غير مسببة عن التفاوت في عقول تلك الامم وقواها فقط بل عن الاضطرار الى صيانة الامة الواحدة من عدوان الاخرى بتأييد تلك الامتيازات كما سيتضح في ما يلي

١

التفاضل الاجتماعي

يستفاد مما سبق ان الناس يجب ان يتفاضلوا في كثير من الامور ولا سيما الامور الاجتماعية والاقتصادية بقدر تفاضلهم في مزاياهم الشخصية. وطبيعة الحال تقضي على الافراد ان يسلموا بهذا التفاضل لان لذي المواهب والمزايا الكثيرة قوة يسود بها على من كان قليلها وهذا من نفسه يخضع لذاك تارة حاجته واخرى لخوفه من سطوته

فالفقير يجلّ قدر الغني ويعظمه لكي يشفقه عليه ويستجديه ويجانب اذاه. وهذا يتغطرس عليه لانه في غنى عنه ولشعوره انه يقدر على التحكم فيه. والجاهل يجلّ العالم لانه يحتاج الى رأيه وهذا يتعالى عليه. والصعلوك يتقرّب من النسيب عريض الجاه ويجتهد ان ينتمي اليه لكي يستقوي به. وهكذا كل ضعيف يتزلف الى قوي لكي يستنصره ويستأمنه على نفسه والقوي يشمخ ويعتزّ. وعلى هذا النحو يستقوي الغني والنسيب والحكيم ويتسع

(١) الا اذا ألف النبلاء في وسط المملكة طبقة ممتازة يصرفون امتيازهم فيها الى نفع انفسهم واستخدام شرائع البلاد آلة لاغراضهم ومنع سن الشرائع التي تفيد الشعب وتنهض به كما هي الحال اليوم في روسيا مثلاً في منتهى شدته

نفوذه ويعرض جاهه بالذين يتقرّبون اليه ويجلونه ويعظمونه لدفع مغرم او لجرّ مغنم. وعلى هذا الاسلوب ينشأ التفاضل بين الافراد والامم وتنتفي المساواة المطلقة ويظهر الناس رتباً ودرجات ويضطرون ان يسلموا لكل منهم بالدرجة التي وضع نفسه فيها وقدر ان يبرهن على استحقاقه لها. وذلك هو منشأ الرتب والالقاب والاوسمة ونحوها مما جُعل للدلالة على مكانة صاحبه في الهيئة الاجتماعية

وهب ان السواد الاعظم من الشعب قام يطلب المساواة ويقاتل مبدأ التفاضل ونجح في جعل الافراد كلهم في درجة واحدة في القيمة والجاه والنفوذ فلا ينقضي رده من الزمان حتى يعود ذلك التفاضل لان الاقدر يجتذب اليه جانباً من الضعفاء الذين يستنصرون بقدرته وهم يرفعون مقامه ويردونه الى المرتبة التي أُنزل عنها. وهب ان امرأً من الامور نقض حال الناس الحاضر وجعلهم في حال جديد متساوين لا كبير فيهم ولا صغير ولا وضيع فلا يلبثون ان يتغربلوا ويتفرقوا ويتجمع افراد كل رتبة في رتبتهم

تفرّد الاميركان في العصر الاخير بتأييد مبدأ المساواة في معظم احوال الهيئة الاجتماعية فنبذوا الالقاب والرتب والنشانات والملابس الرسمية ونحو ذلك مما يدل على التمايز والتفاضل وحظروا على كل فرد منهم ان يقبل رتبة او نشاناً من حاكم اجنبي ولكنهم ما لبثوا بعد حين ان شذ كثيرون منهم عن هذه القاعدة فجعلوا يتطاولون الى الرتب والالقاب ولو خسروا جنسيتهم. فالفتاة الغنية تبذل مالها لكي تتزوج من نبيل اوروبي لورد او بارون او نحوها لكي تتلقب بلقبه. وبعض الشبان المثرين يفعلون كذلك لكي يزوجوا انفسهم بين الاسرات النبيلة وبعضهم يبتاعون الالقاب بالدنانير ابتياعاً. ومع ان قانون الجنسية الاميركية ينكر القاب الشرف فلا يسعه ان ينكر الالقاب العلمية مثل دكتور فلسفة وغيره كأنه من لزوميات الاجتماع البشري ان تقوم الدلائل الحسية على تمايز الناس في مواهبهم وقواهم

ترى ان الاكابر يقيمون لانفسهم اندية خصوصية لا يؤذنون لغيرهم من الوضعاء ان يدخلها. لماذا؟ يظهر لاول وهلة ان الغرض من ذلك الا يختلطوا بفئة الاسافل او الهمج ولكن تراهم لا يستثنون وضيعاً من هذا النبذ ولو كان مثال الادب والذكاء والذوق ولا يرفضون الرفيع ولو كان قارورة سفه وبذاء فالحقيقة اذاً ان المراد من هذا الاختصاص انما هو التمايز العلمي والمباهاة بالجاه والغنى والنفوذ. وعلى هذا النحو ولمثل هذا الغرض تقام مدارس خاصة بابناء الاعيان. ومن ذلك ان شركات السكك الحديدية المتسابقة في جهة واحدة في

اوروبا تتنافس في ارضاء الركاب بمثل هذا التخصيص كأن تمنع الطبقة السفلى من الركوب في الدرجة الاولى ولو دفع الراكب ضعفي الاجرة(١)

وليست المباهاة بالجاه او حب التمايز امرًا قليل الاهمية في الهيئة الاجتماعية بل ان كل فرد فيها يبذل الغالي فضلاً عن الرخيص لمطاولة من هم اعلى منه. الا تراهم يشترون الرتب والالقاب والنشانات المدنية شراء. لا يفعلون ذلك في مصر فقط بل في اكثر ممالك اوروبا ومن ذلك اننا نرى الناس يتنافسون في مظاهرهم حتى انهم يكلفون انفسهم اكثر من طاقتها في اللبس والفرش ونحو ذلك

بقي ان ننظر في عدالة هذا التفاضل وفي فائدته. اما من حيث عدالته فلا ريب انه عدل اذا كان جاريًا على قاعدة قويمة طاهرة من المحاباة والرئاء والشذوذ. فان لذي المزية حقًا بان يتميز على سواه لانه يبذل في الاجتماع البشري قوة اكثر من سواه فيجب ان يكافأ على هذه القوة بقدرها. واذا تساوى الناس في القيمة مع تفاوتهم في القوى او المزايا فقدوا مزاياهم حالاً لانها عديمة الجدوى لهم

على ان التفاضل غير جار على قاعدة قويمة في كل بلاد واكثر قواعده اختلالاً ما كانت في الشرق فانه محصور فيها بذوي القوة المالية وبالنسب ومنتفٍ من اهل الذكاء والمعرفة والآداب فقد ترى العالم الفاضل المستقيم غفلاً من اعتبار الناس واكرامهم. والمثري الشرير مكرمًا. وما هي الحال كذلك في البلاد الغربية الراقية. ففي انكلترا أُكرم سبنسر اكرام الامراء وفي فرنسا أُكرم هيجو كذلك واما في مصر فما قليل ينسى اسم الشيخ محمد عبده وفي سوريا تنوسي اسم البستاني واليازجي

وفي انكلترا انتحر الكولونل مكدونلد (انتحر في باريس) منذ ٣ سنين لانه أُسقط من مقامه في الهيئة الاجتماعية بسبب تهمة دنيئة وفي مصر ترى الباشا فلان وهو يتلطخ بلطخ الدنس لا يزال الناس يكرمونه ويطأ طئون امامه. والمثري فلان وهو ينهب الفقراء ويسلب الارامل واليتامى يتسابق الناس بالثناء عليه وباعلان فضله. والنسيب الحسيب فلان وهو اجهل من هبنقه يتبرّك الناس به ويقبلون الارض بين يديه. وسبب هذا الخلل اي المراآة من جهة والغبن من جهة اخرى انما هو الضعف والجهل العامان في البلاد

---

(١) ظاهر من سياق الكلام ان الكاتب لا يقرر هذه المبادىء ولا يدعو اليها ولكنه يذكرها كما يراها في العالم. فهو ينشر هنا ما كان لا ما يجب ان يكون

اما من حيث فائدة التفاضل فلا يخفى ان اعلان مزايا المتمايزين والاقرار بها او وضعهم في مكانتهم يثير روح التنافس في الناس . وعلى التنافس يقوم عمران البلاد. ثم ان التمايز يقي الكرماء من شرور اللؤماء والمتمدنين من غلاظة الهمج الى غير ذلك مما يستقريه اللبيب بنفسه

ثم ان الفائدة الجلى من هذا التمايز غربلة الناس وتصفيتهم بحيث تنتقى طبقة الاشراف من الوضعاء وفئة الكرماء من اللؤماء واهل العلم من الجهلة ولا تسهل خديعة الافراد بعضهم لبعض

وفي هذه الحالة يضطر كل فرد ان يرقي عقله ونفسه وآدابه ويهتم بانماء ثروته وتعريض جاهه لكي يحرز الاهلية للمكانة التي يطمح اليها و يتبوّأها باستحقاق ولا يتمتع بشرف او مجد او رفعة من غير ان يبذل في العمران القوة التي بذلها سواه ممن احرزوا مقاماتهم التي يحسدهم عليها و يطاولهم فيها

رسالة السيدات من الاسكندرية

بقلم المدموازيل (روزا انطون) صاحبة مجلة السيدات

حاشية — كما ان صاحب الجامعة قد وعد قبل سفره من مصر مجلة السيدات ان يبعث اليها برسائل مفيدة في المدنية الاميركية واحوال سيدات نيويورك والولايات المتحدة السوريات كذلك وعدت شقيقته صاحبة (مجلة السيدات) بالاسكندرية ان تبعث الى الجامعة برسائل لطيفة في اجتماعات السيدات الاسكندريات واخبارهن الاجتماعية اللذيذة وهذه اولى تلك الرسائل

حدثتني احدى الصديقات الحديث التالي وقد التقطته من مجلس خصوصي ضمّ بعض السيدات قالت :

زرت امس صديقة في الاسكندرية فوجدت جمعيتنا ناقصة بسبب سفر كثيرات الى مصايفهن فقلت لم يبقَ غيرنا من جمعيتنا يحتمل حرّ هذا الصيف.